ذلك هو غزل -أبي الشيص- الكلمة الرقيقة العذبة والمعنى الفريد الجديد الذي تشتم منه رائحة المسك والعنبر والورد والخيري والياسمين، وتنظر إلى العيون المريضة والجفون المقرحة... والقامة التي يجذب أسفلها أعلاها كقوله في جارية أحدهم وقد عشقها:

جاريـــة تســـحر عيناهـــا أســـفلها يجـــذب أعلاهـــا

أصبحـت أهواهـا وأهـوى الـردى لكـل مـن أصبـح يهواهـا

نفســي علــى أمريــن مطبوعــة حبــي لهــا أو بغــض مولاهــا

قـــد ملكتنـــي وهـــي مملوكـــة فصـــرت أخشـــاه وأخشـــاها

...

أية ألفاظ سهلة ممتنعة، وأي جرس موسيقي راقص ترقص الأرواح على ألحانه العذبة وأية روح تعمر هذه النفس التي عرفت معنى الجمال الحقيقي فأخذت تتذوقه في لوعة وأسى وفي دمعة جفن، وفي خصر أهيف وردف ممتلئ لا أعجف... ذلك هوغزل أبي الشيص الذي يسحر الألباب ويثير في النفس البشرية آيات الحب والإعجاب.

هذا ولو كان كامل شعره في الغزل قد وصلنا لكان له معنا الآن شأن آخر، وربما كان تجاوز مرتبته وطغى على أضرابه من فرسان الغزل والنسيب كابن عمه (دعبل)، وربما تفوق على أبي نواس نفسه.

خمريات أبي الشيص:

ووصف الخمر والشراب من اختصاص أبي الشيص، وقد فاق أقرانه من الشعراء بوصفها وأبدع في توليد المعاني الرائعة فيها حتى قال فيه ابن المعتز: كان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك. وناهيك عن ابن المعتز من ناقد ذواقة للشعر والخمر، فقد عرفها معرفة الخبير وتذوقها وأسرف في احتسائها على عادة شعراء ذلك الزمان، ولا عجب في ذلك فهو صديق أبي نواس وربيب قصور بغداد والرقة، ولذا فقد جاء وصفه للخمرة عن تجربة صادقة لا عن سماع، وأجاد في وصفها: